

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ
بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ
هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

(الأنعام)

أبو إسلام أحمد عبد الله

شنـودة والقذافي

تحالف

سياسي أم كنسي؟

مركز التنوير الإسلامي

الطبعة الأولى / ذي الحجة ١٤٢٥هـ - يناير ٢٠٠٥ص(*)

اسم الكتاب : شنودة والقذافي..تحالف سياسي أم كنسي؟
المـــــؤلف : أبو إسلام أحمد عبد الله
تصميم الغلاف : إسلام أحمد عبد الله
الإخراج الفني : محمود عبد العزيز المصري

عنوان المراسلة : القاهرة - كوبري القبة ١٠١ شارع القائد
البريد الإليكتروني: abuislam_a@hotmail .com
الهاتف : ٦٨٣١٥٥٢ - ٤٨٤٤٦٠٤ القاهرة

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٣٠٨٦
الترقيم الدولي : ٨ - ٠٩٦ - ٢٨٩ - ٩٧٧

(*) استخدمت حرف (ص) بمعنى بحَسَب التقويم الصليبي المعروف خطأ بـالتقويم الميلادي ، وفي داخل الكتاب استخدمت حرف (غ) بدلاً من حرف (ص) إشـارة إلى التقويم الغربي الصليبي ، خشية الخلط بين حرف (ص) الذي يشير إلى كلمة صفحة .

في عهد القذافي :

شنودة يرفع الصليب في سماء طرابلس برغم أنــف التــاريخ والحقيقة

كان فخار ليبيا أنها وطن لم تنشأ عليه كنيسة ولا صلبان

واليوم فخارها أن كل الليبيين مسلمون منذ فتحها ابن العاص بداية ، وأحسبه نوعاً من جلد الذات ، فإن حال النصارى في مصر هو على غير حال المسلمين فيها ، إذ غالباً لم يكن أحد يسمع صوتاً لأجراس الكنيسة في مصر ، لكنه يفاجأ ببناء صرح كنسي جديــد هنا ، وتجديد صرح كنسي قديم هناك ، وكلاهما اعتاد دق أجراسه مع كل صلاة من صلواتهم اليومية والأسبوعية .

وإذا كان البعض في مصر يلجأ لدفع الرشاوى لحماية منشــئته القديمة من قرارات الهدم الإجبارية ، فإن الكنيسة كانــت تســعي بدأب شديد لاستصدار قرارات هدم لمنشآتها القديمة ، حتى يتسنى لها البناء من جديد ، مع التوسع الرأسي والأفقي ، واستخدام كل حديث من تقنيات البناء والتعمير .

ومثلما هدمت كنائس وأنشئت قــلاع في صــمت مطبــق ، فوجيء آحاد المهتمين بالشأن الكنسي في مصر والعالم الإسلامي ، أن جمهورية ليبيا تستقبل في النصف الثاني من العــام ١٩٧١غ ،

وفداً رسمياً من قسس ورهبان الكنيسة المصرية ، لإقامة ما يسمي في الطقوس النصرانية؛ تكريس خدمة رعاية أول كنيسة مصــرية في العصر الحديث ، تنشأ في ليبيا ، بل وفي العاصمة طرابلس ، وقبل مرور أسابيع قليلة أخرى ، احتفلت الكنيسة المصرية بوفد آخر من القسس والرهبان للاحتفال بتكريس الكنيسة الثانية في بنغــازي ، المدينة الليبية الثانية .

وهكذا أضيف إلى رصيد الكنائس الغربية في ليبيا ، كنيســتين مصريتين ، في سلسلة الكنائس التي أخذت تتوافد إلى أرض ليبيــا منذ إعلان ثورة الفاتح من سبتمبر ، فقد سبقت الكنيسة المصــرية إلى ليبيا ، عدة كنائس تابعة لبابا روما ، وكنائس أخــرى تابعــة لطائفة الروم الأرثوذكس ، وكان أهل ليبيا من قبل ، يفخرون بأن أرضهم خالية من الكنائس ، بعد طرد المحتل الإيطالي وإغلاق جميع الكنائس التي أنشأها أو سمح بإنشائها لمذاهب كنسية أخرى .

بينما مازال فخرهم قائماً أنه لا يوجد ليبي واحد يعتقد بغير دين الإسلام منذ الفتح الإسلامي حتى يومنا هذا .

لكن القوى الصليبية كانت تتلمس الفرصة السانحة للعــودة ، فعادت الكنائس الكاثوليكية ثم الرومية ، لكن الإيطاليــة ظلــت مغلقة ، ولم يكن هناك وجوداً للكنيسة المصــرية ، لقلــة عــدد

النصارى الأرثوذكس هناك ، إذ كانوا جميعاً من السودانيين ، ولذا فإن السلطات الليبية لم تجد مبرراً عام ١٩٦٦غ ، لقبول الطلب الذي تقدم به الأنبا كيرلس السادس بابا الكنيسة المصرية السابق ، عن طريق موفوده الأنبا صموئيل ، أسقف الخدمات بالكنيسة حينذاك .

وبعد قيام الجمهورية الليبية ، وفتح الأبواب على مصاريعها لاستقبال المعلمين والفنيين والعمال والتجار المصريين ، كان من بينهم عدداً قليلاً من نصارى مصر ، تغاضت السلطات الليبية عن ممارساتهم الدينية ، لحاجتها إلى قدر من الوئام والتأييد والدعم في سنواتها الأولى .

وأصدرت الكنيسة في القاهرة أوامرها إلى رهبانها في السودان بالتوجه إلى ليبيا لرعاية دعوة الكنيسة هناك وتنشيطها ، كما تقدموا بطلب رسمي لإنشاء كنيسة تخدم الرعايا المصريين هناك ، أسوة بالعاملين القادمين من اليونان وأوربا وأمريكا ، للعمل في مجالات البترول والصناعة والبناء ، الذين سمحت لهم السلطات الليبية ببناء كنائساً لهم في أماكن تجمعاتهم .

.وفي ١٧ مايو سنة ١٩٧١ ، تم التنسيق والاتفاق بين مطران الكنيسة المصرية في الخرطوم وبين الكنيسة اليونانية في طرابلس

وبنغازي ، حيث أقيم أول قداس صلاة بحسب الطقس المصري في ليبيا ، حضره جميع أتباع الكنيسة من أبناء السودان ومصر وأثيوبيا ، ولم يتجاوز عددهم الخمسين .

فلما تولى شنودة رئاسة الكنيسة المصرية في ١٤/١١/١٩٧١ غ ، كانت الظروف كلها مهيأة من حيث الأرض الممهدة للعمل الكنسي في ليبيا ، ومن حيث حاجة النظام الليبي إلى تأييد الكنيسة ، ثم من حيث أهمية دعم العلاقات السياسية المصرية الليبية ، بعد موت عبد الناصر ورئاسة السادات .

وأرسل شنودة وفداً كنسياً إلى ليبيا ، حيث قدموا طلباً جديداً بإنشاء عدة كنائس ، فوافقت السلطات الليبية على الفور ، على بناء كنيستين ، واحدة في طرابلس والثانية في بنغازي .

وعلى الفور صدر القرار البابوي في ١٢/١٢/١٩٧١ غ ، بضم الكنيستين الجديدتين إلى إيبارشية (مجمع رعاية كنائس) مناطق البحيرة والتحرير ومرسى مطروح في غرب مصر ، ليكونوا جميعاً تحت رعاية إيبارشية واحدة وأسقف واحد ، هو الأسقف باخوميوس ، الذي أصبح مسماه الوظيفي الجديد : أسقف البحيرة والتحرير ومطروح والخمس مدن الغربية .

ووضعت خطة سريعة لتنشيط الدعوة بين رعايا الكنيسة المصرية في ليبيا ، فأرسل شنودة في ١٩٧٢/١/٢ غ ، القس مينا غبريال ، راعي كنيسة العذراء بالهرم ، ليقوم نيابة عنه برئاسة قداس ما يسمى في الكنيسة بـ (أعياد الميلاد المجيدة) .

وجاء في العدد (٩ و ١٠) من نشرة (رسالة الكنيسة) الدورية ، عام ١٩٧٢ غ ، التي تصدرها مطرانية (البحيرة وبنتابوليس) ، أن الأنبا شنودة قد أوفد إلى ليبيا وفداً كبيراً صباح ١٩٧٢/١/١٧ غ ، برئاسة الأسقف الجديد للكنيستين الجديدتين ، وكان في استقباله بمطار طرابلس ، عدداً كبيراً من نصارى مصر والسودان ، ومندوباً رسمياً من السفارة المصرية ، وأسقف الكنيسة الكاثوليكية .

وعلقت النشرة قائلة : لقد كان يوماً تاريخياً في المنطقة ، إذ تطأ قدما أسقف الخمس مدن الغربية ، أرض هذه المدن الخمسة ، بعد مضي قرون طويلة لم تر هذه الأرض أسقفاً مصرياً لهذه الإيبارشية . وفي اليوم التالي مباشرة ، أقام باخوميوس قُدّاساً للصلاة في طرابلس في كنيسة (سان فرانسسكو) التابعة للطائفة الكاثوليكية ، حيث استضافتهم الكنيسة لحين تدبير مبنى خاص بهم ، وأقيمت طقوس تعيين مجموعة من الشمامسة (خدام الكنيسة) .

أما في بنغازي ، فقد أقام باخوميوس قداساً للصلاة في كنيسة الروم الأرثوذكس .

.ثم تقدمت الكنيسة المصرية بطلب للتصريح لأبنائها في طرابلس باستخدام إحدى الكنائس الإيطالية المغلقة ، فنالوا الموافقة السريعة على طلبهم دون تردد أو تأخير .

ويكرر شنودة قراره ، بتوسيع نشاط القمص ويصا السرياني ، وكيل الكنيسة في السودان ، ليتولى أيضاً الرعاية المنظمة لكنائس ليبيا الجديدة ، وكانت أول زيارة له بعد صدور القرار ، في ١٩٧٢/٣/٥غ .

وقبل مرور شهر واحد من هذه الزيارة الرعوية ، في ١٩٧٢/٣/٢٧غ ، أقيمت احتفالات أخرى في العاصمة طرابلس ، أكبر من سابقتها ، ليست على المستوى الكنسي ، إنما على المستوى الرسمي للجمهورية الليبية ، حيث استقبل الرئيس القذافي ، البابا شنودة ، ليتلقى منه الشكر على ما حققه للكنيسة المصرية من حلم كبير ، إذ كان بعيد المنال أن يكون للكنيسة المصرية في ليبيا مكاناً ، وقد حالت قوى الاحتلال الصليبية التي تعاقبت عليها ، دون أن يكون هناك وجوداً كنسياً لمصر ، باعتبارها كنيسة مارقة .

وقد تضمن برنامج الرحلة البابوية ، ما تسميه الكنيسة بـ (تدشين الكنيستين)، ثم منحهما البركة بالصلاة في مذبح كنيسة طرابلس ، التي تقع على طريق (البراني) المؤدي إلى المطار ، وأطلق عليها اسم كنيسة (مارمرقس) ، ثم انتقل ركب الضيف في موكب رسمي متوجهاً إلى ميناء بنغازي ، حيث أقيمت صلاة كنسية في مذبح الكنيسة الثانية التي أطلق عليها اسم كنيسة (مار أنطونيوس) ، وهي من أملاك الكنيسة اليونانية ، كما كانت الأولى من أملاك الكنيسة الإيطالية .

وكان اختيار شنودة لهذا الوقت من شهور السنة ، اختياراً دقيقاً ، إذ واكب مناسبة مهمة في الطقوس الكنسية تعرف بـ (الصوم الكبير) .

ومنذ هذا اليوم ، ارتفع لأول مرة في سماء ليبيا ، الصليب المجسّم ، الذي تتفرد به كنيسة مصر ، ودوت في فضاء طرابلس أجراس الكنيسة ، ليس في أيام الأعياد فقط ، ولا في أيام الأحد من كل أسبوع فحسب ، إنما وأيضاً كل يوم جمعة ، حيث تجتمع العائلات النصرانية التي تتوافد من كل صوب وحدب في ليبيا ، لحضور ما يعرف بقداس الجمعة .

تلك كانت البداية الأولى في أيامنا ، وبعدها انطلقت الآمـال والطموحات بلا حدود ، تستعيد أمجاداً قديمة مخزونة في التـراث ، فنفضوا عنها التراب ، وعرفوا فجأة أن ليبيا كانـت أول مـوطن لدعوة النصرانية في القارة الأفريقية ، على يد القديس مـرقس ، القادم من صحبة المسيح عليه السلام عبر صليبية اليونان ، ثم انطلق بدعوته إلى مصر ، ليضع البذرة الأولى للأرثوذكسية ، لكنه سريعاً ما عاد إلى ليبيا ثانية ، بعدما لفظته الفرعونية الوثنيـة في مصـر ، ولعدم معرفته بلغتهم ، ولمطاردة السلطات له — فمات في ليبيا التي جاء منها (هكذا هم قالوا ، ولم يرد أحد من المسلمين على قولهم) . ومن هنا رأى شنودة ، أن وطن القديس مرقس صاحب الرسالة ، لابدّ أن يكون في قوة وحيوية رسالته (!!) ، كما رأى أن الكنيستين اللتين افتتحهما ، هما بداية الطريق الذي كـان مجهـولاً ، حـتى لشخصه هو ، إذ أن اللقب الكنسي الذي كان يحملـه شـنودة ، وحمله من قبله كل الباباوات الذين سبقوه في مصر ، هو : (بابـا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية في مصر والمـدن الخمـس الغربية وشمال أفريقيا) في الوقت الذي لم يعرف فيه واحداً منهم ، ولاية أو سلطان على غير كنائس مصر والإسكندرية التي هي جزء

منها ، ثم أوهام قديمة عن مدن خمسة غربية ، غير معلومة الإسم ، ومجهولة المكان ، يطلق عليها في تاريخ الكنيسة اسم (بنتابوليس) .

ويؤكد زعمنا هذا حول جهل الكنيسة بالمدن الخمسة ، نصاً مكتوباً لكلمة شنودة ، التي أصدر فيها قراره الكنسي غير المعلن ، إلى السلطات في مصر وليبيا ، بإضافة عبارة (المدن الخمس الغربية) ، إلى وظيفة القس باخوميوس ، عشية يوم السبت الموافق ١٩٧١/١٢/١١غ ، فقال : (ندعوك يا باخوميوس ، أسقفاً على إيبارشية البحيرة ومرسي مطروح والخمس مدن الغربية ، باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد . آمين) .

وهكذا جعل البابا زعمنا حقيقة ، بحصولنا على نص كلمته التي ألقاها خلال الاحتفال بتعيين هذا القس ، ونقلتها نشرة (الكرازة المرقسية) لسان حال الكنيسة في ١٩٧١/١٢/١٩غ ، حيث قال : (وأرجو لأسقف البحيرة عملاً كرازياً (دعوياً) في الغرب ومطروح وشمال أفريقيا ، وفي الخمس مدن الغربية في ليبيا ، بعد أن كانت هذه المدن ــ هكذا نصاً ــ مجرد لقب إسمي لبابا الإسكندرية ، بدون أن يكون فيها عمل كرازي) .

وحينها ، تساءل كبار رجال الكنيسة وصغارها ، الذين حضروا الاحتفالية الضخمة :

ــ أى مدن خمسة يقصدها البابا؟

ــ أين هي؟ ولماذا لم تكن من قبل؟

ــ هل هي باقية حتي يومنا هذا؟

ــ ما الأسماء التي تُعرف بها؟

ــ ما علاقتها بالبحيرة ومطروح؟

ــ بل وما علاقتها بمصر؟

عشرات من الأسئلة ، ترددت في القاعة الكبري لأكبر كنيسة أنشئت في العالم الإسلامي بأموال المصريين التي منحها عبد الناصر هدية لنصارى مصر ، قبل أن ينشيء الدكتاتور الصليبي الهالك (موبوتو سي سيكو) كنيسته الكبرى في زائير ، على صورة كاتدرائية بطرس (المقر البابوي في روما) ، ثم نصّب نفسه قديساً لها ، باسم (القديس موبوتو سي سيكو كوكو نغبيندو وازا بانغا) وترجمتها : (المحارب شديد المراس الذي وبسبب قوة تحمله وصلابته ، سيفوز خارجاً من نصر إلى نصر ، مخلفاً النار في أثره) .

أوهام المدن الخمسة

ما إن عاد شنودة من رحلته إلى ليبيا ، التي افتتح خلالها الكنيستين في أول أبريل ١٩٧٢غ ، إلا وبدأ وضع الخطط وإجراء المشاورات ، لإحياء نشاط كنسي في ليبيا ، فأوفد إليها مجموعة من

الباحثين في الآثار ، في رحلة استكشافية ، اقتضت عشرات اللقاءات مع الأثريين الليبيين ، وزيارات المتاحف والمناطق الأثرية القديمة ، للوقوف على أي مصادر مكتوبة أو منقوشة أو مهجورة .

ثم أرسل الأنبا شنودة ، وفداً آخر إلى المكتبات ومراكز المخطوطات في انجلترا وإيطاليا وروما ، للبحث عن أي مصادر حول تراث قديم للكنيسة في ليبيا ، برغم تأكيدات علماء الآثار الغربيين ، على أن هذا التاريخ المزمع وجوده لما يعرف بالمدن الخمسة في اللغة العربية ، و(بنتا بوليس) في اللغة اليونانية المعتمدة في الكنيسة ، هو تاريخ مجهول تماماً ، ولا أساس له .

ويفتقد إلى سند علمي ، وهو ما أكده الدكتور الإيطالي (بورو) عميد كلية الآداب بجامعة بنغازي ، في مؤتمر التاريخ الليبي ، الذي نظمته الكلية عام ١٩٨٦غ ، أثناء عمادته ، فقال : (إن تاريخ بنتابوليس في الفترة ما بين القرن (١١ ــ ١٩) يعتبر تاريخاً مجهولاً ، أو بالأحرى ، غير مكتوب)

واستشهد (بورو) في قوله هذا بمصدرين علميين :

أولهما موسوعة علمية تاريخية ، تقول : (إن هذه المنطقة مبهمة التاريخ) .

أما المصدر العلمي الثاني ، فيقول نصاً : (إن تاريخ بنتابوليس غير معروف ، ومختصر لدى المؤرخين) .

وعلى معلومات د . بورو ، عَقَّبَ د . فوزي فهيم جاد الله ، أستاذ التاريخ اليوناني بجامعة بنغازي (وهو نصراني مصري) ، فقال : . . .ويمكنني التأكيد بأن المعلومات التي لدينا محدودة ومُقَطَّعة وغير متسلسلة) .

لكن الباحث الذي كلّفه شنودة ، بإثبات وجود المدن الخمسة في ليبيا ، قال : (ومما شجعني على إعداد هذه الدراسة الرائدة . . . قداسة البابا شنودة الثالث . . .) ، وهو د . ميخائيل مكس اسكندر ، فقد كان له رأياً مغايراً .

أسماء المدن الخمسة

إن المتيقن تاريخياً وأثرياً ، بحسب كل ما أكدته المصادر العلمية ، التي توفرت تحت أيدي الباحثين في تاريخ ليبيا — وقد وقف كاتب هذه الدراسة على عدد ليس بالقليل منها — أن المدن الخمسة ، حقيقة ، وأن اسمها اليوناني (بنتابوليس) ، لكنها ليست أبداً تلك المدن التي تحاول الكنيسة المصرية إلواء عُنُق التاريخ والجغرافيا لتكون هي (مسمار جحا) على أرض ليبيا ، بل إن الأمر قد تجاوز مبكراً مساحة (المسمار) ، عندما أورد ميخائيل اسكندر في دراسته ، سطرين فقط ، ضم فيهما ليبيا كلها إلى الكنيسة

المصرية ، فقال : (وَتَسَمَّت هذه المدن الخمسة ، في السنكسار (!!) القبطي ليوم ٢٩ هاتور ، باسم ليبية مصر) ، لاتحادها معها سياسياً ودينياً لفترات طويلة)

وحدد ميخائيل باسم الكنيسة المصرية ، المدن الخمسة بأنها : سيرين ، وأبوللونيا ، وتوكره ، وبرنيس ، وبرقة) معتمداً في ذلك على موسوعة (سترابو) الشهيرة .

ثم أورد مصدراً ثانياً لإثبات ادعائه ، هو كتاب (مارمرقس الناظر الإنجيلي) لمؤلفه ، الأنبا شنودة[1].

فلما رجعت إلى هذا المصدر الأخير ، وجدت شنودة ، يشير إلى مخطوطة موضوعها تعيين أساقفة في بعض الكنائس ، ورد فيها أن المدن الخمسة هي : (برقة ، طرابلس ، أفريقية ، القيروان ، تونس) لاكتشف من ذلك أن ميخائيل اسكندر لم يكن موفقاً في اختيار مصادره ، ولم يكن أميناً في نقله من تلك المصادر .

أما تحديد المدن الخمسة ، فلم يتفق عليه واحد من المصادر العلمية المعتمدة فجاءت كالتالي :

١ـــ رواية شنودة المشار إليها في السطور السابقة .

٢ـــ حسب رواية الكاهن ساويرس ، أسقف منطقة أشمون المصرية في أوائل القرن العاشر الغربي ، والمعروف في الأدبيات العربية باسم

(١) ص ٣٩ ـــ ٤٤ .

(ابن المقفع) ، قال في كتابه (تاريخ بطاركة الأسكندرية) : (إن الخمس مدن بالمغرب ، هي أفريقية وما معها) ، وكانت تُعرف ليبيا قديماً باسم أفريقيا ، وعُرِفت به أيضاً تونس .

٣ــ حسب رواية ابن كبر ، وهو كاهن الكنيسة المعلقة بمصر القديمة في القرن الرابع عشر الغربي ، ويُعرف في الأدبيات العربية باسم (أبو البركات) ، قال : إن المدن الخمسة هي : برقة وطرابلس ، وتونس ، وأفريقية وقيريني) .

٤ــ وفي مخطوط باللغة العربية ، أورده يوسف سميكه في كتابه (دليل المتحف القبطي) ، اتفق تماماً مع ما أورده ابن كبر في الرواية السابقة .

٥- رواية أوردها ميخائيل اسكندر ، نقلاً عن مصدر أجنبي ؛ أن البطريرك أفتيخوس (المعروف في الأدبيات العربية باسم (ابن البطريق) أورد في تاريخه (٩٧٠ غ) ، أن المدن الخمسة هي :(برقة ، زولا ، زويلة ، أوجله ، سنترية) .

٦ــ في معجم لاروس الفرنسي ، وردت أسماء مدن بنتابوليس الخمسة ، التي تتطابق تماماً مع ما ذهب إليه ميخائيل اسكندر ، ومع ما تمناه شنودة ، وهي : (سيرين ، أبو للونيا ، توكرة ، برنيس ، برقة) ، لكن معجم لاروس لم يقل أنها في ليبيا ، إنما قال أنها مدناً توجد كلها في تونس .

تاريخ الكنائس في ليبيا

مما سبق تتجلى حقيقة أن القول بوجود كنائساً قديمة في ليبيا ، خاصة فيما يسمي بالمدن الخمس الغربية ، لم تثبته المصادر العلمية كما أوضحنا .

أما الدراسة التي كلّف شنودة بإعدادها القس ميخائيل اسكندر ، وأتمها في ٤٨٠ صفحة ، وهي تحت أيدينا ، فقد حاولت إثبات غير ذلك ، ولكنها اعتمدت الظن والتخمين أساساً لتحقيق نتائجها ، حيث لم تخل صفحة واحدة ـ دون مبالغة ـ من أربعة كلمات على الأقل ، من بين قاموس استحدثه الباحث ميخائيل ، ضم الكلمات التالية على سبيل المثال لا الحصر : (ربما ، أقرب إلى ، يتضح أن ، يبدو أن ، مما يدل ، بينما يظن ، والراجح أن ، ولا يستبعد ، ولعل ، في رأيي ، في تقديري ، في اعتقادي ، واستناداً إلى ، ويمكن القول ، ويقول البعض ، ونستطيع أن نؤكد ... إلخ) ، وهذا خلل شديد لا يتفق بحال من الأحوال مع لقب الباحث ، ولا صفة البحث .

لكننا ، وبرغم ذلك ، رأينا تجاوز هذا الخلل الذي لا يرقى بحال إلى مستوى البحث العلمي ، في محاولة للوقوف على ما أوردته الدراسة ، من باب الاستئناس والاستشهاد .

تقول دراسة ميخائيل اسكندر ، إنه كان قديماً جداً ـــ نصاً ـــ توجد كنائساً في ليبيا ، شيدها نصارى مصر الأوائل هناك .

وفي موضع آخر قال : إن هذه الكنائس لم تكن مصرية ، إنما مارست طقوسها بحسب قوانين الإيمان المعمول بها في الكنيسة المصرية .

ولأنه من المؤكد في يقين القس ميخائيل اسكندر ، أن أحداً لن يتناول دراسته بالنقد والتحليل وكشف ما فيها من زيف وتزوير وتدليس منسوب إلى البحث العلمي ، فقد ذهب إلى أن هذه الكنائس التي شيدت في ليبيا ، بلغت خمسين كنيسة ، أنشئت كلها في شمال ليبيا ، وقام ميخائيل بتوزيعها على عدة مناطق أثرية ، تتركز كلها في الشمال الشرقي ، قرب شواطىء بحر المسلمين المعروف حالياً باسم (البحر الأبيض المتوسط) ، خاصة في مناطق (برقة وبنغازي وسوسة والجبل الأخضر) وهي أجمل مناطق ليبيا وأهمها (استراتيجياً) .

واعتمد ميخائيل في توثيقاته لإثبات الكنائس الخمسين ، بوجود عمود رخاميّ ، أو حائط سميك ، أو قطعة فسيفساء ، أو نقش يشبه الصليب ، أو حُجرة مستطيلة تصلح قاعة كنيسة ، أو مصطبة تشبه هيكل كنيسة ، أو مكاناً مسقوفاً بطريقة تشبه كنيسة مصرية قديمة ، أو إسماً نصرانياً وجد في أثر تاريخي ، كقوله على

سبيل المثال : (وقد ورد ذكر اسم هذه الكنيسة في كتابات المطران سينسيوس ، أوائل القرن الخامس)

ثم يعقب قائلاً : (مما يدل على أنها كانت عامرة في تلك الفترة) وبهذا الاستنساخ أثبت وجود كنيسة باسم (أوبليا) ، بين مـدينتي (القبة) و (الملودة) ، وهذا أفضل ما أورده من إثباتـات وبـراهين علمية (!!).

لكن العلاقة التي ربطت بين الخمسين كنيسة ، أنها جميعاً بحسب قوله : (من المؤكد أنها هُدِّمت ، أو خُرِّبت ، أو بُنِيَ فوقها ، بعـد الفتح العربي) ، باستثناء كنيسة واحدة ــ هكذا ــ تحمـل رقـم الخمسين ، رأينا أن ننقل ما أورده بقلمه بشأنها ، وهو ما سـوف يحنث به في موضع آخر ، ذلك لنوقف القارىء على المنهج الفاسد الذي اتبعه الباحث الكنسي ، الذي اعتمده شنودة كجـزء مـن تاريخ الكنيسة .

فيقول ميخائيل (ص ٢٣٧) تحت عنوان كنيسة باسم (كنيسـة مدينة أجدابية) :(خلال زيارتنا لتلك المنطقة ، شاهدنا بقايا أثريـة محدودة جداً ، أخبرنا عنها أحد الأثريين الغربيين ، أنها بقايا لهيكل كنيسة مستطيلة الشكل ، كانت ذات سقف برميلي على مثـال كنائس مصر القديمة ، ويبدو أن هذه الآثار ، هي كل ما تبقى من كنيسة بيزنطية كبيرة ، وقد استنبط الأثري الغربي هذا الوصـف ،

من رسوم أثرية عنده ، ويُرَجح أن تلك الكنيسة ترجع إلى عهـــد جستنيان ، في الربع الأخير من القرن السادس ، إلا أنه من الأرجح أن التجار الأقباط (المصريين النصارى) قد شيدوا كنيسة أخـــرى على نفقتهم بعد الفتح العربي في القرن التاسع ، وهو الرأى الأقرب إلى الواقع ، لكن السيدة (بوتشر) أشارت إلى وجود كنيسة قبطية في منطقة (برقة) ، لكنها لم تحدد لنا مصدر معلوماتها (!!) ، وأكبر الظن أنها تقصد كنيسة (أجدابيا) السابق الإشارة إليها ، وإن كنـــا نرى أن تاريخها لا يتعدى أوائل القرن الثاني عشر الميلادي علـــى أكثر تقدير ، بسبب هجمات العرب الهلاليين عام ١٠٥٠ غ ، التي خَرَّبت المنطقة عمرانياً وحضارياً وبشرياً) أ.هـــ .

هكذا أخذ يصول الباحث الكنسي ويجول خلال هذه الفقـــرة الواحدة بين : أخبرنا ، ويبدوا ، واستنبط ، وتـــرجح ، والـــرأي الأقرب ، وأشارت إلى ، ولم تحدد لنا ، وإن كنا نرى .

ثم في النهاية يختمها بكذبة شنيعة ، يفرغ فيها بعض ما يملأ قلبه من الحقد التاريخي ضد المسلمين ، فيدعي افتراءاً أن العرب الهلاليين خربوا المنطقة عمرانياً وحضارياً وبشرياً ، هكذا بلا سند علمي ، ينطق بكلام فاسد لم يذكر أحد له مثيلاً في التاريخ ، ولم تشفع هدية القذافي له ؛ أن يتورع عن الكذب والافتراء على تاريخ المسلمين .

أسباب اختفاء النصرانية من ليبيا

في كتابه (المجمل في التاريخ الليبي) ، يبـدي الباحـث الليـبي مصطفى بعيو ، عجبه من واقع النصرانية في ليبيـا ، فيقـول (ص ٦٨) : (لقد كانت في ليبيا قديماً عدة أسقفيات ، فكيف لا يوجد أي ليبي مسيحي في العصر الحديث؟) ، وهـو سـؤال غايـة في الأهمية ،لو توفر له بحثاً جاداً أميناً ، ولكننا نحن بين فكي ميخائيـل وكذبه العلمي ،فلا بأس أن نقرأ الإجابة التي ارتضاها لنفسه ، فقال أن الأسباب عديدة ومتنوعة ،تتعلق بجوانب أربعة :

(١) من الناحية الاقتصادية

يجيب ميخائيل اسكندر على هذا السؤال ، اعتماداً على مصـادره الغربية ، فيقول : (إنه من الحقائق المسلم بها ، أن المسـلمين قـد دخلوا إلى منطقة برقة ، وهى في حالة يرثى لها اقتصـادياً ، فقـد تعرضت قبل الفتح الإسلامي لعدة زلازل مروعة : بجانـب تغـير الأحوال المناخية وسيادة الجفاف) .

وبذلك يعلن الباحث الكاذب المدلس ، أنه مفتري على العرب الهلاليين ، وأنهم لم يخربوا عمراناً ولا حضارةً ولا بشراً .

ثم يضيف إمعانا في كشف تناقضه واهتراء حجته وتنفيث غله قائلاً : (إن النظام البيزنطي ، أثقل كاهـل الأهـالي بالضـرائب

الباهظة ، وتعرضت البلاد إلى هجمات مكثفة من الجراد ، وقلة الموارد المائية ، بالإضافة إلى ضعف التجارة ، بعدما قضت الإسكندرية على الأهمية التجارية لمدينة سيرين الليبية ، التي عانت بدورها من ثورات اليهود) .

ويزيد (ألفريد بتلر) في موسوعته (فتح العرب لمصر) : (إن ليبيا كانت مصابة بالخراب قبل الفتح الإسلامي ، حيث يؤكد المؤرخون أن الفرس أذاقوا سكان ليبيا العذاب عشر سنوات متواصلة (٦١٨ ــ ٦٢٨ غ) ، خربوا خلالها دور العبادة ، ونهبوا ما بها ، وفرضوا الجزية عليها ، وهدموا مدن بنتابوليس كلها ، فأصبح من السهل على العرب فتحها) .

ويلخص الوضع الليبي أيضاً ــ قبل الفتح الإسلامي مباشرة ــ المؤرخ الأمريكي هنري سيرانو ، في كتابه الشهير (ليبيا) فيقول : لقد حل الدين الجديد (الإسلام) بكل ما يحمل من قوة ونفوذ ، ليجد ظروفاً مهيئة لانتشاره ، وانحسار للنصرانية التي كان أهلها في فقر مدقع ، دفع بالغالبية إلى قبول الإسلام) .

(٢) من الناحية الاجتماعية :

ينقل ميخائيل اسكندر عن توماس أرنولد ، في كتابه (الإسلام في ليبيا) قوله : (إنني أشك في وجود أية آثار للمسيحية في ليبيا عند الفتح العربي الكاسح ، لأن كل السكان البيزنطيين (حملة الدين) قد

هربوا إلى أوربا) وفي المقابل فقد شجع الفتح قبائـــل العـــرب أن تتوافد إلى ليبيا ، في شبه موجات موسمية من الحجاز واليمن والشام والعراق ، خاصة في العصر العباسي ، كما توسع هؤلاء المسلمين في الزواج من الذميات وإدخالهم في الدين الجديد .

(٣) من الناحية السياسية :

يقول ميخائيل اسكندر : (كانت السياسةالعربية الأولى : تسير في خطين متوازيين ، هما السماح بحرية العبـــادة بالنســـبة لأهـــل الكتاب ، وفي نفس الوقت نشر الدعوة الإسلامية ، وحققوا نتائجاً سريعة ، فقد شهدت ليبيا فترة من التسامح الـــديني ، لم يلمســـها أهلها خلال حكم البيزنطيين أو الفرس ، وقد برع في ذلك ابـــن العاص بذكاء كبير) ، هذا ما قاله الباحث الكاذب نصاً ، مناقضـــاً لكلماته السابقة ، ومؤكداً بطريقة لم ينتبه إليها ،على أن ليبيـــا لم يكن بها كنائساً من قبل على العموم ، ومنذ الفتح الإسلامي علـــى وجه الخصوص .

(٤) ومن الناحية الثقافية :

فإنه بعودة الروم والبيزنطيين إلى بلادهم مع الفتح الإسلامي ، لم يبق في ليبيا من أهلها من يحمل رسالة النصرانية ، أو يهتم بلغتها ، أو يقيم طقوسها ، أو يرعى دعوتها ، فاستقبلوا ثقافة المسلمين على الترحيب .

ويضيف ميخائيل بُعداً آخر فيقول : (ولقد أجمع الباحثون على أن الانقسامات المذهبية بين النصارى ، والاضطهادات العنيفة التي مارسها أباطرة روما وبيزنطة ، فاستفاد بذلك الدين الجديد ، فيقول المؤرخ اللاهوتي يوحنا النيقوسي عن ملوك الروم الصليبيين : (إنهم أعداء المسيح الذين دنسوا المسيحية برجس بدعهم ، وعصوا المسيح ، وأذلوا أتباعه ، وتجاوزوا شر عبدة الأوثان) .

وينقل ميخائيل عن ابن المقفع الصليبي أيضاً قوله : (إن الله كان يخذل جيوش الروم أمام المسلمين ، بسبب عقيدتهم الكاثوليكية الفاسدة) .

النصرانية في ليبيا الحديثة

أما عن الوجود النصراني بأرض ليبيا في العصر الحديث ، فقد وجدت إرهاصات عديدة في الأدبيات الكنسية ، في محاولة لإثبات التواجد ، غير أن هذه الإرهاصات ، افتقدت جميعها الدليل العلمي الذي يمكن الاعتماد عليه .

ولعل أول هذه الإرهاصات وأهمها ، القول بالعثور على مخطوط عربي ، قام بكتابته كاهن مصري عام ١٧٢١ غ ، جاء فيه أن (المسيحية قد اختفت تقريباً في القرن ١٣ غ ، من أرض بنتا بوليس) بحسب رواية ميخائيل .

أما الأب الكاثوليكي يعقوب مويزر ، فيقول في كتابه (تاريخ البطاركة) : (إن آخر إشارة للمسيحية في بنتابوليس ، هي منتصف القرن الثامن) أي القرن الثاني الهجري .

كما توجد رواية أحدث من سابقتيها ، عن مصدر يستند إلى رسالة كتبها بابا الإسكندرية عام ١٥٢٤ غ ، إلى مطران كان يعمل بالخمس مدن الغربية حينذاك ، ثم هجرها أيام امتلاك العثمانيين للشمال الأفريقي .

ويزعم ميخائيل اسكندر ، أن المؤرخة الكنسية إيزيس المصري ، قد أخذت بهذه الرواية ، ليس في موسوعتها المنشورة (تاريخ

الكنيسة المصرية) ، إنما في بحث لها غير منشور .

ثم أضاف على لسان إيزيس : (لقد ذكر بعض المؤرخين أن النصرانية انتهت تماماً في الخمس مدن الغربية ، أثناء بابوية الأنبا يؤانس الثالث عشر ، عام ١٥٠٨ غ ، الذي ترك ليبيا وعاد إلى مصر) .

ويعقب ميخائيل نفسه على ذلك قائلاً : (إن صحت هذه الرواية ، فإننا نرجح أن هذا المطران كان في تونس (القيروان) ، لأن منطقة طرابلس وبرقة ، في هذا الوقت كانت مخربة ومعزولة) .

* ثم ننتقل عبر سنوات القرون الثلاثة الأخيرة ، لنجد نقلاً أورده ميخائيل عن الرحالة الفرنسي باشو (Pacho) سنة١٩١١غ ، أن النصرانية عادت إلى ليبيا ، مع الاحتلال الإيطالي ، حينما هاجرت جماعات إيطالية (جائعة) ، إلى الساحل الليبي ، وقامت بتشييد عدد كبير من الكنائس في المدن الكبري ، ظلت حتى قيام ثورة ١٩٦٩ غ ، حيث أغلقت جميعها ، وعاد روادها إلى بلادهم) .

ونؤكد من ناحيتنا ، أن هذه الكنائس ، لم تكن كنائساً بالمعني المتعارف عليه ، إنما كانت عبارة عن قاعات تعرف باسم (قاعات الصلاة) ، إن كان هناك احتمال لتصديق ذلك الباحث أصلاً .

إذ مع الفاتح من سبتمبر ، واستخراج البترول ، حاجة النظـام الليبي إلى الخبراء والعاملين المتخصصين في هذه المجالات — كمـا أشرنا من قبل — يمكن قبول فكرة وجود قاعات الصلاة في ليبيا ، ثم سريعاً ما تطورت هذه القاعات إلى كنائس متواضـعة ، لكنـها جميعاً ، كانت كاثوليكية ، أو خاصة بطائفة الروم الأرثـوذكس — لكن توجد كنسية واحدة منها على الاطـلاق تتبـع الكنيسـة الأرثوذكسية المصرية ، قبل رئاسة العقيد القذافي واستضافته للأنبا شنوده ، وإنشاء الكنيستين في طرابلس وبنغازي .

وفي فبراير الماضي (٢٠٠٣ غ) ، ورد خبراً قصـيراً في نشـرة (الكرازة) التي تصدرها الكنيسة الكبرى في مصر ، نصف شهرياً ، في عدد أول يناير ، قال : (إن الأسقف باخوميوس قد عـاد مـن زيارة له امتدت لمدة أسبوعين ، في كل من ليبيا وجزيرة مالطـا ، وإنه قدم تقريراً للبابا شنودة ، جاء فيه : (لقد تقدمت بطلب جديد إلى السلطات الليبية للحصول على مكان مناسب للصلاة في مدينة (مصراته) ذاكراً أننا نصلي الآن في شقة بالمدينة ، فوعدونا بأحـد مكانين ، وأن هذا سوف يتم قريباً) .

وأضاف الخبر قول الأسقف باخوميوس : (ونشكر الـرب أن القس مرقس زغلول ، يقوم بخدمته الكنسية بصـفة منتظمـة في كنيسة السيدة العذراء بمدينة مصراته ، كما تقـدمت بطلـب إلى

رئيس جمهورية مالطا ، لتخصيص كنيسة للمصريين الأرثوذكس ، حيث يوجد في مالطا حوالي ٣٥ عائلة ، فأظهر شعوراً طيباً) .
ثم أضاف التقرير الكنسي : (والأقباط في مالطا مجتمع فقير جداً ، وعائلات متناثرة معظمهم زواجهم مدني (غير كنسي) ، وعملهم الأساس عمال بناء أو وظائف صغيرة وقليل في أعمال حرة) .

وفي ختام تقريره ، حول أوضاع نصارى مصر في ليبيا ، كشف باخوميوس عن الحقائق الغائبة ، حول أوضاع نصارى مصر في ليبيا ، قال : (ولوحظ في هذه الزيارة ، أن عدد العائلات ، يقل عن ذي قبل ، ففي ليبيا الآن حوالي ٣٠٠ عائلة تقريباً (أى حوالي ألف شخص ، وهو رقم مبالغ فيه للغاية) بينما عدد المصريين المسلمين هناك والمسيحيين ، ربما أكثر من ١٥ ألفاً ، بسبب البطالة في مصر) !.

تلك هي قصة اختراق الكاتدرائية الأرثوذكسية في مصر ؛ لجدار الإسلام في ليبيا ، إذ بالتحالف بين الرئيس معمر القذافي والبابا شنودة ، ثم فض بكارة تاريخها الجهادي الذي عاشت في كنفه هذه الأرض طوال هذه القرون ، لا تعرف غير الإسلام ديناً ،ولم يتردد في سمائها يوماً نداء غير تكبير المساجد ، فإذا بأساقفة مصر جدوا لهم كنيسة واثنين وثلاثة ، وأصبح هناك ما يبرر أسفارهم إليها كل يوم ذهاباً وعودة ، بأزيائهم السوداء التي

يتمسكون بها دون كل المسيحيين في الأرض ، حزناً وأسفاً منـــهم على مصر التي أسلمت قيادها للتوحيد ، بكل نسـائها ورجالهـا وشيوخها ، متحولين من النصرانية إلى الإسلام ، وأبقوهم محافظون على دين آبائهم ، فإذا هم اليوم في ليبيا بنفس الأزياء الســوداء ، وغداً سوف تأتي الأجيال من بعدهم ، ويلقنونهم في الكنائس أنهـم يلبسون السواد من أجل أرض ليبيا التي شهدت مولـد الرســول مرقس ، ولن يخلعوه إلا بعد تحريرهـا ، تمامـاً كمـا سـيظلون متمسكون به في مصر ، في انتظار الأمل البعيد ، أن يُطـرد كـل الشعب المصري المسلم من أرض مصر ، ويذهب غير مأسوف عليه للإقامة في أرض نبيهم محمداً ، فهو أولى بأتباعه ، وكنيسة مصـر أولى بأرض مصر ومن حافظ من أهلها على مسيحيته .

ولولا تقارير حالة الانقراض التي يشكوا منـها المســيحيين في الدول العربية ، لكان ممكناً أن نضع أمل النصارى في الاعتبـار ، ولكنها رحمة الله بنا .

إلا أن السؤال الأساسي في هذا الاختراق ، تظل الإجابة لغـزاً خفياً بل وخطيراً ، لأن الدراسة التي بين أيدينا ؛ إنما تناولت قصة الاختراق ، ولكنها لم تتناول أسبابه ، ولا مبرراته ،كما لم تفصـح عن هوية العلاقة بين طرفيّ الاختراق أهي سياسية يبحـث فيهـا

الرئيس معمر القذافي عن وساطة مع السلطة الأمريكية ؟ أم هي دينية يحقق بها شنودة حلماً كان بعيد المنال ؟ .

وطبعي أن يكون لكل الحليفين مكاسبه ، خاصة بعد أن منح الرئيس معمر القافي جائزة الكتاب الأخضر للبابا شنودة في العام الماضي وقيمتها ثلاثة أرباع مليون جنيه .

والله من وراء القصد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء وخاتم المرسلين .

المصادر والمراجع

١ــ أبحاث مؤتمر التاريخ الليبي : كليـــة الآداب ، بنغـــازي ، ١٩٦٨ ، ص ٣٤٧ .

٢- Cambridge Ancient Hestory .

٣- vol-673. P . xi .

٤- Cary . The Geographic Background of the Greek, Roman History . (oxford 1949) P .219 .

٥- أبحاث مؤتمر التاريخ الليبي ، مصدر سابق .

٦- تاريخ كنيسة بنتا بوليس ، المدن الخمس الغربية : د . ميخائيل اسكندر ، إيريني للطباعة . توزيع دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١٤ .

٧- المصدر السابق ، ص ١٥ .

٨- المصدر السابق ، ص ٣٨ .

٩- المصدر السابق ، ص ٣٥ .

١٠- Strobo : The Geography, vol .v11, trans . Jones, London .

١١- بدون ناشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

١٢- مطبعة Evetts ، باريس ، ١٩٠٤ ، ص ٢ .

١٣- السلم الكبير ، ج١ ، ١٩٥٧ ، ص ١٧ .

١٤- ج٢ ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، ص ٩٣١ .

١٥- مصدر سابق ، ص ٣٠ ــ ٣١ .

16 - Barges, Homelie sur s .Mark, Texte Arabe . et trad, Francaise, Paris 1876,p .186

(!!) السنسكار : هو كتاب يحوي سير الآباء القديسين وتذكارات الأعياد وأيام الصوم ، مُرتبة حسب أيام السنة ، ويقرأ منـــه بعـــد الصلوات .